سمير يذهب الى استامبول

— ٣ —

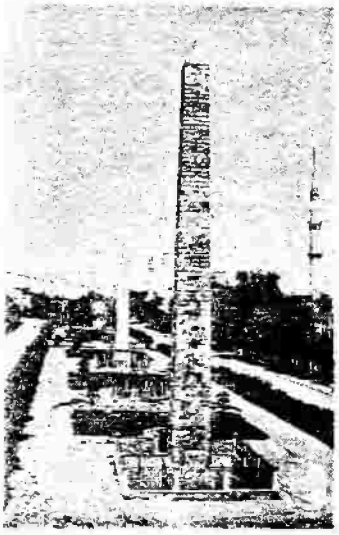

جزء من ميدان السلطان احمد حيث المسلة المصرية في الوسط

برج بيت سراي

قالَ وَالِدِي: « لَيْسَ فِي الْعَالَمِ أَجْمَعَ بَلَدٌ غَنِيٌّ بِتُرَاثِهِ الْفَنِّيِّ كَإِسْتَامْبُولَ . » وَإِنَّ مَجْمُوعَةَ الْمَسَاجِدِ الأَثَرِيَّةِ الَّتِي فِيهَا لَتَفُوقُ فِي فَخَامَتِهَا وَبَهَائِهَا جُمْلَةَ الْمَسَاجِدِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي أَنْحَاءِ الْعَالَمِ الإِسْلاَمِيِّ بِأَجْمَعِهِ . هٰذَا مَسْجِدٌ لِلسُّلْطَانِ أَحْمَدَ ، وَهٰذَا لِلسُّلْطَانِ بَيَازِيدَ ، وَهٰذَا لِلسُّلْطَانِ مَحْمُودٍ ، وَهٰذَا لِغَيْرِهِ وَلِغَيْرِهِ وَلِغَيْرِهِ . وَكُلُّ مَسْجِدٍ مِنْ هٰؤُلاَءِ يَمْتَازُ بِطَابَعٍ خَاصٍّ ، فَهٰذَا بِمِحْرَابِهِ وَمِنْبَرِهِ وَذَلِكَ بِقِبَابِهِ وَمَآذِنِهِ ، وَهٰذَا بِأَعْمِدَتِهِ الْهَائِلَةِ الضَّخْمَةِ ، وَذَاكَ بِفُسَيْفِسَائِهِ الدَّقِيقَةِ الْبَدِيعَةِ .

وَنُودِيَ لِلصَّلاَةِ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْجُمْعَةِ ، فَذَهَبْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا بِهِ يَمُوجُ بِجَمَاعَاتِ الْمُصَلِّينَ ، وَقَدِ ارْتَدَوْا جَمِيعاً قُبَّعَاتٍ مُخْتَلِفَةَ الأَشْكَالِ وَالأَوْضَاعِ . وَجَعَلْتُ أُقَلِّبُ النَّظَرَ فِي وُجُوهِ الْجَالِسِينَ ، وَأَنَا فِي دَهَشٍ شَدِيدٍ . تَصَوَّرْ مَسْجِداً قَدِ امْتَلأَ عَنْ آخِرِهِ « بِخَوَاجَاتٍ » عَلَى رُءُوسِهِمُ الْقُبَّعَاتُ ، وَقَدْ جَاءُوا إِلَيْهِ ، لاَ لِمُجَرَّدِ الزِّيَارَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ ، كَمَا يَفْعَلُ السَّائِحُونَ فِي

مساجدِ مصرَ ، ولكنْ للصلاةِ والعبادةِ وذكرِ اللهِ .

وجلسنا نستمعُ للمُقرىء يتلو سورةَ الكهفِ ، وكانتْ لهجتُهُ في التلاوةِ ساذَّةً غريبةً ، لها في أذنِ وقعٌ غيرُ مألوف .

واعتلى الخطيبُ المنبرَ وألقى خطبةَ الجمعةِ باللغةِ التركيةِ ، فلم أفهمْ منها شيئاً ، ولم أكنْ أتبيَّنُ إلا بضعَ آياتٍ من الذكرِ الحكيمِ ، كانَ يتلوها كالمقرىء لسانٍ عربيٍّ ألكنَ يصعُبُ علينا فهمُه .

ولا بُدَّ أنكَ سمعتَ عنْ مسجدِ « أبا صوفيا » العظيم : إنَّ له من الشهرةِ التاريخيةِ ما يجعلُه في المقامِ الأولِ بينَ مساجدِ إستامبول . كانَ هذا المسجدُ فيما مضى كنيسةً من أكبرِ كنائسِ العالمِ ، تُعرفُ

من اعلى الى اسفل : مسجد السلطان بايزيد . المسجد السليمانى . مسجد السلطان احمد

باسم « سانْ صوفي » ، وَقَدْ حَوَّلَهَا السُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ الفَاتِحُ إِلَى مَسْجِدٍ ، بَعْدَ أَنْ مَحَا مِنْهَا كلَّ مُمَيِّزَاتِ المَسِيحِيَّةِ ، كَالصُّلْبَانِ وَالمَذَابِحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

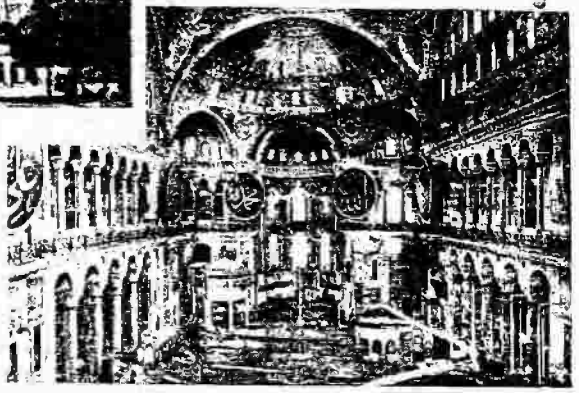

ايا صوفيا من الداخل

مسجد ايا صوفيا من الخارج

وَلا يَزَالُ الزَّائِرُ إِلَى اليَوْمِ يَتَبَيَّنُ أَثَرَ ذَلِكَ المَحْوِ وَالتَّبْدِيلِ .

وَيَقُومُ هَذَا المَسْجِدُ فِي جَانِبٍ مِنْ مَيْدَانٍ فَسِيحٍ ، تَتَوَسَّطُهُ مِسَلَّةٌ مِصْرِيَّةٌ . وَيُقَابِلُ المَسْجِدَ فِي الطَّرَفِ الآخَرِ مِنَ المَيْدَانِ مَسْجِدُ السُّلْطَانِ أَحْمَد . وَهَكَذَا قُدِّرَ لِي أَنْ أَرَى أَثَرَ مِصْرَ فِي إِسْتَامْبُول ، كَمَا رَأَيْتُهُ فِي لَنْدَنَ وَبَارِيسَ مِنْ قَبْلُ . وَسَمِعْنَا بِمَكَانٍ ، يُقَالُ لَهُ « تربتان سَرَايْ » قَالُوا إِنَّهُ مَدْخَلُ سِرِّيٌّ لِقَصْرٍ قَدِيمٍ . ذَهَبْنَا لِزِيَارَتِهِ فَإِذَا بِنَا نَهْبِطُ فِي سُلَّمٍ ، يَنْتَهِي إِلَى صَحْنٍ فَسِيحٍ جِدًّا ، قَدْ غَمَرَهُ المَاءُ إِلَى ارْتِفَاعٍ كَبِيرٍ ، وَأُقِيمَ سَقْفُهُ عَلَى أَعْمِدَةٍ ذَاتِ عُقُودٍ أَشْبَهَ بِأَعْمِدَةِ المَسَاجِدِ وَأَرْكَبَنَا الحَارِسُ زَوْرَقًا أَخَذَ يَتَسَلَّلُ بِنَا حَوْلَ تِلْكَ الأَعْمِدَةِ ، وَفِي خِلالِ تِلْكَ العُقُودِ وَالقَبْوَاتِ . وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا المَاءَ جَارٍ غَيْرُ آسِنٍ ، وَأَنَّهُ صَالِحٌ لِلشُّرْبِ لا ضَرَرَ مِنْهُ . وَقَالَ الحَارِسُ إِنَّهُ مُتَّصِلٌ بِعَيْنٍ جَارِيَةٍ ، وَقَالَ آخَرُونَ إِنَّهُ مُتَّصِلٌ بِنَهْرٍ يَجْرِي فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ . وَمِنْ غَرِيبِ مَا يُشَاهِدُهُ الزَّائِرُ أَنَّ بِالسَّقْفِ فَتَحَاتٍ ، فَتَحَهَا أَصْحَابُ المَنَازِلِ المُقَامَةِ فَوْقَ هَذَا المَكَانِ يُدْلُونَ مِنْهَا دِلاءً يَمْلَئُونَهَا بِالمَاءِ ، ثُمَّ يَرْفَعُونَهَا لِيَسْتَسْقُوا مِنْهَا كَمَا يَسْتَسْقِي مِنَ الآبَارِ .

أَمَّا البُسْفُورُ ، وَأَمَّا مَتَاحِفُ إِسْتَامْبُولَ وَدُورُ الآثَارِ بِهَا ، فَسَأُحَدِّثُكَ عَنْهَا فِي خِطَابِي المُقْبِلِ ؟

أَخُـــوكَ

سمير